

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فيقول المصنف رحمه الله : **ويذكر أيضاً أيامه في الأمم ووقوع المثالات التي شاهدها الناس في الدنيا وأنه نموذج من جزاء الآخرة .**

هذا متعلق بما سبق من بيان طريقة القرآن في تقرير المعاد وقد مرّ معنا ما ذكره الشيخ رحمه الله من أنواع الأدلة في القرآن الكريم الدالة على المعاد وثبوت عود الأبدان إلى رب العالمين وقيام الناس للجزاء والحساب وأن الناس لن يتركوا سدى ، بل سيبعثون يوم القيامة ليجازي الله عز وجل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته كما قال الله عز وجل { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } وقال في الإساءة { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأى } .

وواقع الناس في هذه الحياة على قسمين محسن ومسيء، مهتدي وضال، فيهم المحافظ والمطيع الممثل لأمر الله، وفيهم العاصي والفاجر والفاسق والمعرض والمرتكب للعظائم وأنواع الإجرام، فهل هؤلاء يكون أمرهم سواء كل منهم تخرج روحه من جسده وينتهي أمره ، أيليق هذا بحكمة أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى ، فهناك أنواع من الأدلة على ثبوت المعاد وثبوت الجزاء من ذلك ما ذكره الشيخ أنّ ما ذكره الله من عقوبات معجّلة وهذه العقوبات المعجّلة وهي نماذج على عقوبات مؤجّلة كما قال الله عز وجل: { وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى } .

لما تقرأ في قصص السابقين من العتاة والمجرمين والملاحدة كيف كانت نهايتهم منهم من خسف الله به الأرض، ومنهم من أغرقه ، ومنهم من أرسل عليه حاصبا، ومنهم من أخذته الصّيحة؛ تنوعت العقوبات التي أحلّها الله بهم، وتعددت المثالات فهذه العقوبات هي نماذج وليست هي العقوبة وحدها .
ودلّ القرآن على أنّ العقوبة المؤجّلة التي تكون يوم القيامة أشدّ من حيث فظاعة العذاب وقوّته وأبقى من حيث دوامه واستمراره .

قال رحمه الله : [ويدعو جميع المبطلين من الكفار والمشركين والملحدين بذكر محاسن الدين ، وأنه يهدي للتي هي أقوم في عقائده وأخلاقه وأعماله وبيان ما لله من العظمة والربوبية والنعم العظيمة. وأن من تفرد بالكمال المطلق والنعم كلها هو الذي لا تصلح العبادة إله له، وأن ما عليه المبطلون إذا مُيزَ وحقق وجد شرا وباطلا وعواقبه وخيمة] .

ثم ذكر هنا شيئاً آخر من كليات القرآن في دعوة الكفار والمشركين إلى الإسلام، والقرآن كتاب هداية وكتاب دعوة كما قال الله عز وجل { **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** }، ويقول: { **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } .

وقد هدى الله بهذا الكتاب خلقاً ولهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس بالقرآن كما قال الله عز وجل { **فَدَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٍ** }، وقال تعالى: { **قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ** }، وقال تعالى: { **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** }، وقال تعالى: { **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** } .

وهذا أمر غفل عنه كثير من المتصدّرين للدعوة يميل كثير منهم إلى الخوض عقلياً في طريقة الدّعوة إلى الله بينما الذي ينبغي للداعية أن يقرأ القرآن وأن يدعو الناس بالقرآن فالقرآن كتاب دعوة ، دعوة الكفار للدخول في هذا الدين ودعوة لأهل الإسلام للزيادة فيه والثبات عليه ومن يطالع القرآن يجد فيه أنواع الدلائل في دعوة الكفار إلى الإسلام ، والقرآن فيه مسالك متنوعة في دعوة الكفار بالترغيب والترهيب ، وحثهم ومناظرتهم ، وإقناعهم وإقامة الحجّة عليهم وإبطال ما عندهم من شبهات إلى غير ذلك ، فالقرآن مليء بأنواع الأدلة ولذلك فأكمل طريقة وأسدّ سبيل في دعوة الكفار إلى الإسلام هي طريقة القرآن .

والشيخ رحمه الله هنا ينبّه على بعض الأنواع من طريقة القرآن في دعوة الكفار والمشركين إلى الإسلام فتوسّع في هذا الأمر بعض الشيء في كتابه "القواعد الحسان" وقد خصّص في هذا فصلاً نافعاً جداً وذكر فيه أنواعاً تزيد على ما ذكره هنا.

قوله رحمه الله: **[ويدعو جميع المبطلين من الكفار والمشركين والملحدين]** وغيرهم من أصناف المبطلين يدعوهم .

[بذكر محاسن الدين] هذه طريقة نافعة جداً في دعوة الكفار إلى الإسلام، أن يبين لهم محاسن الدين الإسلامي وأن تذكر لهم خصائصه ومميزاته ومناقبه وفضائله وثمراته وآثاره وعوائده على أهله في الدنيا والآخرة فتفصيل هذا وبيانها للكفار من أسباب هدايتهم ولهذا ألف بعض العلماء رسائل في محاسن الدين الإسلامي والشيخ رحمه الله له رسالة جيدة في هذا الباب فإبراز محاسن الدين الإسلامي لمن يجهل الدين من الكفار والمشركين والملاحدة قد يكون سبباً لهدايتهم وقد قرأت مرة للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله كلاماً في هذا الباب يقول فيه: والله الذي لا إله إلا هو لو بُيّنت محاسن الإسلام للكفار كما ينبغي لدخلوا في دين الله أفواجا لكنهم يجهلون؛ ولهذا لما تسمع بقصص إسلام بعض من أسلم منهم تجد سبب إسلامه وقوفه على خصلة من محاسن الإسلام تجد أنه وقف على شيء من محاسن الإسلام .

من اللطائف في هذا الباب أنّ رجلاً تزوّج حديثاً وذهب للدراسة في بريطانيا وكانت معه زوجته واستأجر شقة من امرأة ، فكانت تسمع كل ليلة الماء يصب من أنابيب الماء فاستغربت ما هذا الاغتسال المسرف فسألتهم، قال: عندنا في الإسلام لا بد عقب المعاشرة التي تكون بين الرجل وأهله الاغتسال وذكر لها شيئاً من حكم الاغتسال ، فأعجبها هذا الأمر، وسألته عن أمور أخرى في الإسلام فذكر لها آداب قضاء الحاجة وذكر لها أموراً أخرى فاعتنقت الإسلام ، فمعرفة محاسن هذا الدين وإبراز هذه المحاسن للناس ونشرها بينهم من أعظم أسباب الدخول فيه ولهذا بدأ الشيخ بهذا الأسلوب قبل غيره لأهميته وعظم شأنه ، ولهذا يحسن بك أن يكون حاضراً في ذهنك جملة من محاسن الدين الإسلامي ، بحيث إذا اتجهت إلى دعوة أحد الكفار تعدّد له بعض هذه المحاسن.

وقد لقيت رجلاً زارنا في المدينة من الهند وهو من الدعاة إلى الله أسلم على يده أكثر من ألف هندوسي وذكر لي أن إسلامهم على يده لم يكونوا على وجه الدعوة الجماعية يقول : كنت أدعو واحداً واحداً فقلت له: ما طريقتك في دعوة هؤلاء؟ يقول : إذا رأيت أحداً جالسا ودائماً أتخير من أراه محزوناً ، أو مغموماً إذا رأيت جالسا وحده آتية ، وأسأله عن أحواله وأموره ثم أقول له: هل تعرف شيئاً عن الإسلام؟ فكلهم يقول: لا. فيقول له: ما رأيك أعطيك فكرة فقط معلومات عن الإسلام تضمها إلى معلومتك الأخرى عن بقية الأديان؟ فيقول: جيد. يقول فأبدأ رأساً أعدّد له محاسن الدين ، يقول بعضهم يكفيهم معي ربع ساعة يقول الذي يطيل الوقت معي نصف ساعة ، ويسلمون، قلت له: وإذا أسلموا ماذا تصنع بهم، ولا يكفي أن تعرض عليهم الإسلام وتركهم من غير معرفة التفاصيل المتعلقة به؟ يقول: طريقتي أن آخذه إلى أقرب مسجد وأسلمه إلى أمام المسجد وأقول هذا الرجل أسلم حديثاً وشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وهو الآن في ذمتك فتعلمه الطهارة وتعلمه الصلاة استوصي به خيراً أسالك عنه أمام الله يوم القيامة ، يقول: ثم أذهب أبحث عن آخر أدعوه إلى الإسلام ، الشاهد أنه يبرز لهؤلاء محاسن الإسلام

بعضهم عرض له الدين عرضاً مشوهاً .

والكفار يتعمدون المجرى إلى أماكن أهل البدع والخرافات والخزعبلات والضلال من المنتسبين إلى الإسلام فيصرون بشاعاتهم وخرافاتهم وخزعبلاتهم ولطمهم للخدود وشقهم للجيوب وضربهم على الظهر وغير ذلك وينشرونه على أنه هو الإسلام فهم يستعملون للصد وسيلة معاكسة لهذه الوسيلة ، ولهذا من أعظم الطرق لدعوة الكفار إلى الإسلام إبراز محاسن الدين الإسلامي وهي من الطرق التي ذكرت في القرآن الكريم .

قوله : وأنه يهدي للتي هي أقوم في عقائده وأخلاقه وأعماله

وهذه أيضاً من طريقة القرآن في الدعوة إلى الله ، أن العقائد التي يدعو إليها هي أصح العقائد وأزكاها وأقومها، والعبادات التي يدعو إليها هي أحسن العبادات ، والأخلاق التي يدعو إليها هي أحسن الأخلاق وأجمل الآداب ولهذا قال الله تعالى { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } الإسراء ٩ . وهذا عام في العقيدة والعبادة والأدب فما من خير إلا ودلّ عليه وما من شر إلا وحذر منه ، فهذا مسلك من مسالك القرآن في الدعوة إلى الله جل وعلا، وهو بيان أن هذا الدين إنما يهدي الناس للتي هي أقوم .

ففي عقائدهم بدلا من التعلق بالأحجار والأشجار والأشخاص والقباب يعتلق الناس برب العالمين جل وعلا { أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } يوسف ٣٩ وقال تعالى { اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ } النمل ٥٩

وفي أمور العبادات فعبادات الإسلام ليس فيها مشقة ، وليس فيها شطط وليس فيها عنت فهو دين يسر وهي تزكي الإنسان ، وتطهره وترفع مقامه وتعلي درجته، وآداب الإسلام يشهد كل العقلاء بجمالها ووفائها وحسنها وتمامها فهو دين مكمل لا نقص فيه لأنه منزل من رب العالمين ، بينما الأديان الأخرى يعتويها من الخلل والنقص الفساد والانحراف الشيء الكثير لأنها من وضع البشر وتناج عقولهم القاصرة ، وأفهامهم الضعيفة { وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } المائدة ٥٠

وأيضاً من طرق القرآن في دعوته الكفار إلى الإسلام :

وبيان ما لله من العظمة والربوبية والنعم العظيمة وأن من تفرد بالكمال المطلق والنعم كلها هو الذي لا تصلح العبادة إله له .

هذه أيضاً طريقة بيان عظمة الله وجلاله وكماله وعظيم قدرته وتوالي نعمه وتوالي مننه ، وفي القرآن من هذا الشيء الكثير ، انظر أول أمر يأتي في القرآن { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } ٢١ { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ٢٢ . وقال سبحانه { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } الزمر ٦٧

فيعدّد الله تعالى في القرآن ما يدل على عظمة الرب الخالق وجلاله وكماله وقدرته وتوالي نعمه على عباده وترادف مننه، وهي من الطرائق التي يدعى بها الكفار إلى الإسلام يبين لهم عظمة الخالق وتفرد

بالخلق، يقال لهم مثلاً { هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ } فاطر ٣

فإن اعترفوا له بالخلق يقال لهم: لم تعبدون غيره ، هو يتفرد بالخلق والرزق والإنعام والعطاء ثم تتجهون إلى غيره ممن { لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا } الفرقان ٣

فهذا كثيراً تي في القرآن وهو إبطال ما يتعلق به من يعبد غير الله ويسأل غير الله ، أو يستغيث بغير الله بأن المتفرد بخلق الكائنات وإيجاد المخلوقات هو الله سبحانه وتعالى لا شريك له فكيف يجعل معه الشركاء، ويأتي أيضاً في القرآن الدلائل العقلية وإقامة الحجة وإزالة الشبهة وإبانة السبيل {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ }
 هَلْكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ {

ومن ذلك قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوقِنُونَ } هذه كلها من دلائل القرآن على تفرد الله تبارك وتعالى بالخلق وأن كل من يُدعى من دون الله أيّاً كان لا يملك شيئاً {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } الإسرائاء ٥٦ ، {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرْكٍ وَمَا لَّهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ } سبأ ٢٢ ، { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } وقال سبحانه { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } ٥ { وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } ٦ { يبين الله عظمته وتفردته بالخلق وتفردته بالإنعام وتفردته بالعطاء وتفردته بالتدبير وهو وحده النافع الضار المعطي المانع الخافض الرافع القابض الباسط الذي بيده أزمية الأمور ومن سواه لا يملك شيئاً من لذلك لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره .

وَأَنْ مَا عَلَيْهِ الْمَبْطُلُونَ إِذَا مَيَّزَ وَحَقَّقَ وَجَدَ شِرَاءً وَبَاطِلًا وَعَوَاقِبَهُ وَخِيمَةً .

أيضاً من طريقة القرآن في أبطال ما عليه الكفار بيان فُيْح ما هم عليه في العقيدة والعبادة والأخلاق فهذا مسلك .

انظر إلى نبي الله إلياس قال لقومه {أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ، اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ } ١٢٦ { وموسى عليه الصلاة والسلام قال لقومه {أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا } طه ٨٩ يعني هذا العجل الذي يعبدونه لا يكلمهم، وإبراهيم قال لأبيه {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } مريم ٤٢ فبيان حال من يُعبد من دون الله وأنه لا يملك شيئاً ولا يملك عطاء ولا منعا ولا دفعاً فكيف يُدعى من دون الله ، فمعرفة حال الأوثان والمعبودات كفيلاً بتركها وهجرها وعدم عبادتها لمن كان له عقل .

ذكر المؤرخون أن رجلاً قدم من مسافات طويلة إلى صنم من الأصنام يريد أن يدعوه وأن يعرض عليه حاجاته فلما وصل إلى الصنم وجد فوقه ثعلب يبول على الصنم والبول ينزل من أعلى رأسه إلى أسفل

قدميه الثعلب فوق رأسه وهو قدم يطلب من هذا الصنم حاجاته فما أن رأى هذا المنظر إلا ورجع على الفور وهو يقول :

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

إذن كشف حال هذه الأصنام وبيان أنها لا تملك شيئاً ولا تضر ولا تنفع، فهي لا تملك لنفسها فكيف تملك لغيرها.

أحد الصحابة ممن من الله عليه بالإسلام يقول : كنا مرة في سفر ومعنا صنم ، حجر جميل كلما وقفنا نصبه في مكان ونعبده ، يقول مرة وقفنا في مكان فإذا أحد رفقاءنا أخذ يصيح بنا قال: يا قوم التمسوا ربكم فإننا قد فقدناه ، يقول فأخذنا نبحت عنه ، يقول بينما نحن نبحت ونحن في جهد جهيد نبحت عن الرب الضائع فنادانا مناد قال يا قوم يقول: وجدت ربكم ، أو شبهه فهو وجد حجراً قريب من الذي يعبدونه ، يقول ففرحنا واجتمعنا عليه نعبده ، فانظر إلى العقول عندما تتعلق بالأحجار ، وإلى الساعة ترى من الناس من يتعلق بالأشجار وبالقباب والأضرحة ، يبكون عندها ويخشعون لها ويخضعون ويمدّون أيديهم سائلين باكين راجين خائفين واقفين طامعين ويبكون بكاءً لا يبكونه إذا وقفوا بين يدي رب العالمين أين عقول هؤلاء ، فلما تُكشَف هذه الحقيقة وتبين للناس ويوضح لهم ويبين لهم أن هذه التي تُعبد من دون الله لا تملك شيئاً لنفسها فضلاً عن أن تملك شيئاً لعابديها، هذه أيضاً من طريقة القرآن وتأتي كثيراً .

وكثير من الكفار هو في قلق من الدين الذي هو عليه ليس عنده فيه قناعة، فمجرد ما يكشف له بعض الكشف ويبين له بعض البيان يهتدي بإذن الله سبحانه وتعالى .

وهناك طرق كثيرة ذكر منها الشيخ في غير هذا كتاب مثل الترغيب والترهيب وكذلك المناظرة فالقرآن فيه مناظرات بين الأنبياء وبين الكفار قوية جداً ومفحمة ومسكتة، خذ على سبيل المثال : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ } البقرة ٢٥٨

والمناظرة تفيد المناظر نفسه ربما يرجع، وتفيد من حوله ربما أنهم يهتدون وتنكشف لهم حاله ممن انخدع به والمغترين به .

والشاهد أنّ في القرآن مسالك عظيمة جداً ونافعة، وإن كان لي من وصية لكم في هذا الباب أن تقرأوا الفصل الذي كتبه الشيخ طريقة القرآن في دعوة القرآن الكفار إلى الإسلام من كتابه "القواعد الحسان" اقرأ هذا الفصل وحاول وأجمع الأدلة من القرآن الدالة على ما ذكره الشيخ رحمه الله حتى تقوي ملكتك.

قال رحمه الله : ومن أصول التفسير إذا فهمت ما دلت عليه الآيات الكريمة من المعاني مطابقة وتضمنا، فاعلم أن لوازم هذه المعاني وما لا تتم إلا به وشروطها وتوابعها تابعة لذلك المعني، فما لا يتم الخبر إلا به فهو تابع للخبر ، وما لا يتم الحكم إلا به فهو تابع للحكم

هنا يذكر الشيخ أصل من أصول التفسير يتعلق بدلالات القرآن .

وأنواع الدلالات ثلاثة كما هو واضح في هذا المقطع الذي قرأناه من كلام الشيخ رحمه الله وهي دلالة المطابقة ودلالة التضمّن ودلالة الالتزام .

فالنص قد تكون دلالاته مطابقة، وقد تكون دلالاته تضمنا ، وقد تكون التزاما.

دلالة المطابقة : هي دلالة اللفظ على كامل معناه .

ودلالة التضمّن : هي دلالة اللفظ بعض معناه .

ودلالة الالتزام : هي دلالة اللفظ على أمر خارج من معناه .

دلالة المطابقة مثالها إذا قلت الإنسان إذا أردت بهذا اللفظ كامل ما يدل عليه اللفظ من معنى الإنسان بكامل حواسه وأجزائه فأطلقت كلمة إنسان تريد به كامل الإنسان فهنا دلالة اللفظ مطابقة .

وإذا أطلقت الإنسان وأنت تريد شيئاً من الإنسان فالدلالة تضمن لأن اللفظ يدل على ما أردت تضمنا وليس مطابقة، فدلالة اللفظ على بعض معناه تسمى دلالة تضمن .

ودلالة اللفظ على أمر خارج من معناه هذه دلالة التزام .

أعطيكُم مثالا من أسماء الله تبارك وتعالى :

اسم الله السميع :

هذا يدل على صفة السمع وعلى ذات الله دلالة مطابقة .

وإذا استدلت بهذا الاسم على صفة السمع وحدها دلالة تضمن .

وإذا استدلت بثبوت السمع لله ثبوت الحياة له فهذه دلالة التزام .

فهنا الشيخ ينبه على دلالة الالتزام فيقول :

قوله : إذا فهمت ما دلت عليه الآيات الكريمة من المعاني مطابقة وتضمنا فاعلم أن لوازم هذه المعاني وما لا تتم إلا به وشروطها وتوابعها تابعة لذلك المعنى

لأن لازم الحق حق، وكلام الله حق وما يلزم منه فهو حق بشرط ذكره أهل العلم " إن صح أنه لازم "

حتى لا يأتي مُبطل ويدعي دعوى في كلام الله أنه يلزم منه كيت وكيت وليس عنده برهان وإنما يتخرّس

في كلام الله تعالى كالمعطلّة نفاة صفات الله عز وجل فيأتي إلى قوله تعالى ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

﴾ الشورى ١١ فيقول يلزم من إثبات صفة السمع والبصر التشبيه فينفي السمع والبصر وهذه طريقة أهل

الضلال ، لأن هذا اللازم ليس بلازم لأن السمع والبصر المضاف إلى الله عز وجل يليق بجلاله وكماله على قاعدة "الإضافة تقتضي التخصيص" وما يضاف إلى الله يخصّه جلّ وعلا " ، ودعاء هؤلاء لزوم التخصيص هذا في عقولهم هم أما النص فلا يدل على التشبيه والله سبحانه يقول { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى ١١ أثبت لنفسه السمع والبصر بعد نفي المثلية فدل على أن ثبوت الصفات لله لا يستلزم التشبيه .

إذن هذه القاعدة تتعلق باللازم وأن لازم الحق حق . فإذا أثبت الآية وما دلت عليه مطابقة وتضمنا انظر في اللوازم فأثبتها سواء في الأخبار ، أو في الأوامر وكذلك النواهي .

وعلى سبيل المثال أمر الله بالصلاة في آيات كثيرة وإقامتها فكل ما لا يتم إقامة الصلاة إلا به فهو واجب من ذلك تعلم الصلاة والمحافظة على أوقاتها المحافظة على شروطها الطهارة وكل ما لا يتم الواجب به فهو واجب ، فأنت تنظر في الذي أوجبه الله عليك ، وأيضاً في اللوازم التي تلزمك لقيامك بهذا الواجب .

أوجب الله عليك الصلاة في المسجد ، قال الله تعالى : { فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } النور ٣٦ فالصلاة في المسجد تستلزم المشي إلى المسجد وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فتنظر في الآية وفي لوازمها ولازم الحق حق ، قال الله تعالى { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } الإسراء ٣٢ فهذا نهي عن الزنى وعن كل أمر يفضي إليه ، وكذلك في الأخبار فكل اللوازم التي تلزم عن ذلك فهي حق فما في الجنة من ثواب وما في النار من عقاب وما يلزم من ذلك من امثال أوامر الله واجتناب معاصي الله فكل هذه الأمور لا بد منها فأنت تنظر في النص وفي دلالاته مطابقة وتضمنا ثم دلالاته على وجه الالتزام فتثبت ذلك .
والله تعالى أعلم .

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .